تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

بلاد البترون

٢٦ قلعة الحصن

اذا ملتَ عن الساحل سائرًا من البترون لتتوغّل في لبنان من جهة دوما رأيتَ بعد قليل صخرة عالية مكشوفة للنظر كانها السارية المنحوتة نحتًا عموديًا وفوقها قلعةٌ قديمة الآثار تدعى قلعة الحصن موقعها بين دير الموارنة المعروف بدير مار يعقوب وقرية بشعلي(١). ومن رقي فوق هذا المرقب تمتّع بمنظر غاية في البهجة والرونق فان العين تبصر غربًا البحر وسواحلهُ وترى شرقًا القرى الممتدة الى جهات ارز لبنان. امّا جهتا الشمال والجنوب فلا حاجز يحول دون مرأى سهولها. وليس لهذا المقام مجاز آخر الّا من جهة بشعلي وهي الجهة التي عُني القدماء بتحصينها لتكون القلعة حرزةً منيعة لا يقوى على فتحها العدوّ من كل امكانها

امّا القلعة فان بقاياها ليست من العظمة والبهاء على شيء بخلاف ما يظن المسافر اذا ابصرها عن بعد. فانّ موادّها واخرجتها لا تختلف عن غيرها ولا تنبئ بما اعتادهُ الفينيقيون والرومان من الابنية الجبّاريّة. وعندنا انّ هذه الاطلال صرحٌ بُني في الاجيال المتوسّطة فوق جدرانٍ اقدم عهدًا بقي منها بعض آثارها

ومما يرى داخل هذا القصر آثار بيوت كان يسكنها السكّان سابقًا. وفي اسفل القلعة نواويس عديدة ومدافن نُحتت في الصخر الاصمّ وجد فيها الاهلون نقودًا ومسكوكات نادرة

ومن غريب ما شاهدناهُ في اعلى هذه القلعة حجر كبير وسطهُ مثقوب وهو منفصل عن الصخر الذي تحتهُ وفيهِ جدول للماء لا تظهر وجهة جريهِ. وقد اعملتُ الفكر لأعرف ما الغاية من نَصب هذا الحجر فلم يثبت لي الامر

وان استطلعنا طلع التاريخ لنستدل على اخبار قلعة الحصن وجدناهُ ساكتًا لا يفيدنا

(١) راجع مقالتنا المنونة «سياحة في بلاد البترون» المشرق ٢: ٨٧٦

عن احوالهِ فتيلًا. لكن موقع هذا البناء يناسب ايَّ مناسبة للاعمال الحربيَّة كيف لا وهو يطلّ على قسم من اخصب معاطف لبنان فلا يبعد ان القدماء اتخذوا هذا المقام للدفاع عن مواطنهم. واملهُ كان هنا قلعةٌ قديمة ابتناها الفينيقيّون فاخربها بمبيوس القائد الروماني عند فتح بلاد الشام كما ذُكر آنفًا

اما « بشعلي » التي هي بقرب قلعة الحصن فلا تريد في وصفها شيئًا على ما كتبناهُ سابقًا في المشرق في مقالتنا المُعنونة « سياحة في بلاد البترون » (٢ : ٨٧٠). وفي بشعلي رأس عمود على اربع جهاتهِ كتابة يونانيَّة خشنة ذهب اكثرها فلم يبقَ منها سوى بعض حروف لا يظهر لها معنى شافٍ (١. وانما وجودها هناك دليل على انَّ القرية سبقت عهد العرب. وقد جاء ذكر بشعلي في آثار الصليبيين وهم يدعونها « Betzaal » وكانت داخلة في حكم امير جبيل (٢

ومما رأينا في « ترمج » عند زاوية كنيستها صفيحة من الحجارة طولها متر ونصف وعرضها سبعون سنتيمترًا وهي داخلة في الحائط عليها صورة ناتئة تمثل حيوانًا تهشَّم رأسهُ ولم يبقَ سوى ذنبهِ الذيَّال فلم نتثبَّتهُ ايَّ حيوان هو

٢٥ دوما

لا نرى داعيًا لتكرار ما كتبناهُ سابقًا عن حسن موقع هذه البلدة وعظم شأنها حاليًا (راجع المشرق ٢ : ٨٦٩)

اما عاديَّات دوما فهي نواويس ومدافن قديمة ثم كتابتان يونانيَّتان الواحدة منها محفورة في الناووس الذي قرب عين القرية وهو اليوم حوض ماء يُستقى منهُ ففي وسطهِ دائرة كان فيها نقشٌ اخنى عليهِ الزمان. والكتابة المعلَّقة عليهِ كثيرة الغلط كانَّ النقَّاش الذي نحتها لم يدرك معناها ولم يُحسن أنقلها بل ترك منها الفاظًا فصار معناها مُغلقًا. فاذا تداركنا هذا الخلل واصلحنا ما يجب اصلاحهُ وجدنا انَّ تاريخ الكتابة سنة ٣١٧ للمسيح يُستفاد منها انَّ هناك دُفن كاستور وكان كاهنًا وثنيًا لإله الطب اسكولاب وإلهة الصحَّة (Hygie). وفي آخر الكتابة تهديد لمن ينتهكون حرمة هذا المدفن فان فعلوا وجب عليهم اداء ٢٠٠٠٠٠ دينار لبيت المال

١) ولعلَّ هذه الكتابة من الاثار التي لم يجدها رينان بعد ان بحث عنها في بشعلي كما اخبر بذلك في كتاب بعثتهِ الى فينيقية (ص ٣٥٧)

٢) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV) الجزء العاشر ص ٣٥٦

فهذه الكتابة اليونانيَّة من احدث ما نعرف من آثار الوثنيَّة في لبنان. امَّا ما جاء فيها من الوعيد ضدَّ ناقضي حرمة القبور فمثلهُ كثير في الكتابات الضريحيَّة القديمة (١. وليس المبلغ المذكور في الكتابة هو من المبالغ الفاحشة لانَّ الدينار كان وقتئذٍ قليل الثمن. وهذه الكتابة مهمَّة لتاريخ دوما القديم لانَّ منها يُستفاد انَّ هذه البلدة كانت اقامت هيكلًا معتبرًا لإلهي الصخة وانَّ سدنة الهيكل كانوا من الذوات كما يظهر ذلك من الناووس الذي دُفن فيه هذا الكاهن. وهو جميل حسن النقش. ولعمري قد اصاب الاقدمون لمَّا جعلوا هذه القرية مقامًا لمعبد الصخة لانَّ علوَّها نحو ١١٠٠ متر فوق سطح البحر وهواءها الطيِّب ومناظرها البهجة المطلة على سهول كفر حلدا الخصبة توافق الصخة وتنعش القوى

امَّا الكتابة الثانية فهي على حجر داخل في جدار كنيسة الروم الارثذكس (المشرق ٥: ٨٧٠) وقد اخذت رسمها بعد افراغ الجهد الجهيد الَّا ان هذه الكتابة مطموسة لا يُفهم منها سوى كونها ضريحًا لعدَّة اشخاص ذهبت اسماؤهم الَّا واحدًا منهم. وقد درس ايضًا تاريخُ الكتابة فلم يَعُدْ لها شأن كبير

ومن قرى بلاد البترون التي تشتمل على بعض الآثار قرية «بقسيَّة». فانَّا نعتقد انها كانت مزدانة بهيكل وثني في سالف الاعصار والكنيسة الحاليَّة مبنيَّة بموادّ ذلك البناء. فترى حجارتها كبيرة حسنة النحت. وابواب الكنيسة اكثرها من ذلك المعبد القديم لها العتبات المنقوشة وجوانبها قطعة واحدة. وان دخلت الكنيسة وجدتَ آثارًا غير السابقة كالنقوش الخطَّية المعترضة في وسط البناء. ولو بحث الاعلون او ترعوا هذه البقايا لوجدوا بلا شك كتابات قديمة ترشدنا الى تاريخ القرية بيد اننا حتى الان لم نسمع بذكر شيء من ذلك اللهمَّ الَّا عتبة معبد السيدة الملاصق للكنيسة فانها تُبرز للعيان بقايا كتابة لم يمكنَّا قراءتها

وبقسيَّة من القرى التي احتلها الروم الملكيون زمنًا طويلًا كما سنبيِّن ذلك في مقالتنا الآتية عن دير مار يوحنَّا مارون. والروم لم يسكنوا فقط جهات الكورة حيث كان عددهم وافرًا بل احتلوا ايضًا قسمًا من بلاد البترون التي تُعدُّ كمهد الأمَّة المارونيَّة. ولنا في كلِّ ذلك تفاصيل نعرضها ان شاء الله عند سنوح الفرصة (ستأتي البقيَّة)

(١ راجع Reinach : *Manuel d'épigraphie grecque*, p. 429